

مجمع أفسس 431 وكنيسة المشرق

الأب إسحاق أدونيه تمرس

البُعد التاريخي لمجمع أفسس 431:

إنَّ لكل حدثٍ معطيات تاريخية، منها نستنتج ونستخلص النتائج بعيداً عن الإسقاطات الحاضرة من منظورنا المعاصر. لذا يستوجب دراسة البدايات التي كانت هي الأساس في انعقاد هذا المجمع، وما سنطرحه سيكون مُجرد إعطاء تسلسل زمني تاريخي للأحداث، وإن كان من الصعب التحقق من كل ما طُرِح من مواقف كانت السبب في تغيير مجرى التاريخ الكنسي بصورة عامة، والتي لها تأثير في علاقتنا المعاصرة مع محيطنا المسيحي، وغايتنا هي ان نقدم دراسة ذات بُعد موضوعي، بعيداً عن الجدل العقيم أو التمسك بالأراء الشخصية النابعة من عواطفنا، وأنَّ نحاول الإجابة على هذه الإشكاليات التاريخية بالسؤال التالي: هل من الممكن دراسة الحقائق التاريخية الموثقة في مكتبتنا العالمية بصورة أكثر موضوعية وعلمية؟ إنطلاقاً من زمننا المعاصر وهو عصر العلوم والتقنية.

البدايات التاريخية للمعضلة:

أنَّ ما ينبغي معرفته فيما سنتطرق إليه، هو ظهور اتجاهين عقائديين (لاهوتيين) في القرن الرابع، فبدون فهمهما جيداً يصعب علينا أن نتابع بسهولة تطور الفكر اللاهوتي.

فالاتجاه الأول: تعاليم الذين نادوا بعقيدة الكلمة_ جسد أو اللوغوس_ جسد.

الاتجاه الثاني: تعاليم الذين نادوا بعقيدة الكلمة _ إنسان أو اللوغوس_ إنسان.

إذاً، "حاول أتباع الاتجاه الأول، التشديد على لاهوت "والكلمة صار جسداً..." (يو1:14). كان اللاهوت هو الذي يسيطر ويحكم ويقود الجسد. هذا التعليم تمسكت ونادت به كنيسة الإسكندرية"¹.

أما أتباع الاتجاه الثاني، اللوغوس_إنسان. "فقد علّم هذا اللاهوت أن الله ظهر فعلاً، ولكنه ظهر في إنسان يدعى يسوع الناصري. وكان هذا الإنسان كامل التكوين من روح عاقلة وجسد حقيقي. هذا ما علّمت به

¹د. القس حنا الخضري، تاريخ الفكر المسيحي-الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، 1986، الصفحة

مدرسة أنطاكية². وهنا تظهر المشكلة العقائدية الكرسولوجية الجديدة في تاريخ الفكر المسيحي: وهي مشكلة الاتحاد.

"فإن معلمي القرن الخامس لم يعد يختلفوا على وجود اللاهوت في الناسوت أو على حقيقة ناسوت المسيح، بل أن النزاع العقائدي (الكرسولوجي أي الخاص بشخص المسيح يسوع) أصبح مركزاً على كيفية وطريقة اتحاد الطبيعتين في المسيح يسوع ولقد شغلت مشكلة الاتحاد عقول الآباء والمعلمين منذ القرن الرابع إلى مجمع خلقيدونية وما بعده"³.

نسطوربيوس ومحاربه للهراطقة:

عندما نُصب نسطوربيوس الأنطاكي رئيساً لأساقفة القسطنطينية، ألقى خطاباً وفيه قال مخاطباً الامبراطور "هني بلاداً بدون هراطقة، أمنحك السماء بديلاً، استأصل معي الهراطقة أقف بجانبك في محاربتك للفرس"⁴. لذا سجد أن "إصدار الإمبراطور فرمان بتاريخ 30-5-428 امرا بمتابعة الهراطقة أينما وجدوا، وطردهم ولم يستثنى من هذا الاضطهاد إلا جماعة البلاجيين. وشملت كل من: أتباع أريوس وأبولوناريوس، والنوفاتيين والمقدونيين، والأقنوميين والفالانتينيين والمونتانيين والمركيونيين، والبولسيين... وآخرين كثيرين. أنفق معظم المؤرخين على أن نسطوربيوس كان المحرك والعامل على اصدار هذا فرمان الإمبراطوري لاضطهاد الهراطقة"⁵. وكذلك هجومه على بعض العادات والتقاليد، مثل "المسارح والغناء والرقص والملاهي. مما أثار غضب الرومان عليه. كما أنه هاجم أيضاً تطرف الرهبان والاكليروس. وهجومه على الإمبراطورة بولخارى"⁶. ومن النقاط الجوهرية في محاربه للهراطقة، هو هجومه على لقب أم الله للعدراء مريم. "فإن نسطوربيوس لم يهاجم في بداية الأمر نسبة لقب أم الله للعدراء مريم. ولكن وجد نفسه أمام تيارين من التعاليم العقائدية، وكان عليه بصفته أسقفاً أن يتدخل لحل هذه المشكلة"⁷. تعتبر طريقة وأسلوب ومفهوم نسطوربيوس في محاربه الحركات والمذاهب الفكرية الهراطوقية، وتصادمه مع الإمبراطور (أي السياسة)، من الأسباب الجوهرية في إضعاف موقفه أمام الرأي العام وإدانته.

كيرلس ونسطوربيوس:

²المصدر السابق، الصفحة 151.

³المصدر السابق، الصفحة 151.

⁴المصدر السابق، الصفحة 158.

⁵المصدر السابق، الصفحة 159.

⁶المصدر السابق، الصفحة 159.

⁷المصدر السابق، الصفحة 160.

إنّ الأفكار المتعددة والتيارات الهرطوقية (الخاصة بشخصية يسوع المسيح) ولقب أم الله، هي من أبرز النقاط التي تندرج في المصادر التاريخية في إثبات أسس الصراع. لذا يعتقد بعض العلماء أنه كانت هناك عدة أسباب عقائدية وسياسية دفعت أسقف الإسكندرية أن يتخذ هذا الموقف من أسقف القسطنطينية.

أسباب عقائدية:

1. "تمسك القديس كيرلس بتعاليم القديس العظيم أنثاسيوس. وبجملته الشهيرة (واحدة هي الطبيعة الإلهية المتجسدة)، لكن في حقيقة الأمر هي من كتابات أبولوناريوس. إذاً، كان كيرلس يعلم بوجود طبيعة واحدة. أما نسطوريوس ومدرسة أنطاكية فقد علماً بوجود طبيعتين في المسيح"⁸.
2. "كان نسطوريوس لا يقبل فكرة أن الله ولد أو تألم أو مات وإن مريم هي أم الله...على أن كيرلس كان يعتقد بأن الكلمة قد ولد في جسد بشري حتى وإن كان لم يأخذ أصله من أمه"⁹.

أسباب سياسية¹⁰:

3. كان كيرلس يسعى لنشر نفوذه وسلطانه في الشرق من الناحية الدينية والسياسية.
4. كان الصراع بين كرسي الإسكندرية وكرسي القسطنطينية صراع قديم وعميق، فعندما قرر المجمع المسكوني الثاني المنعقد في القسطنطينية في سنة 381 ترتيب القسطنطينية في المكانة الثانية بعد روما ومنح رئيس أساقفة هذا الكرسي لقب مسكوني أثار هذا القرار غيرة الإسكندرية. ألم يكن الاسقف ثيوفيلوس وهو خال كيرلس المعارض الأول وهو الذي تزعم حركة محاكمة ونفي رئيس أساقفة القسطنطينية وهو يوحنا ذهبي الفم في سنة 403!!!. يعتقد البعض بأن هذه الأسباب وأسباب أخرى أيضاً دفعت كيرلس بأن يتخذ موقفاً سلبياً من قضية نسطوريوس.

وصول أخبار الصراع العقائدي إلى روما:

لم نتطرق إلى المراسلات التي حدثت بين كيرلس ونسطوريوس، لما لها من مواقف جدلية قد نجدها في مواقف أخرى تتكرر بصورة مباشرة. وهناك من يعتبر أن المواقف كانت متقاربة في بعض من أوجه الخلاف،

⁸المصدر السابق، الصفحة 204.

⁹المصدر السابق، الصفحة 204.

¹⁰المصدر السابق، 204-205.

لكن لم يكون هناك إصغاء كامل لكلا الطرفين في مواجهة بعضهما البعض ويثبت مجمع أفسس 431 هذا الموقف. لذا سنتطرق إلى موقف روما من هذا الصراع، ولكي نشخص نقطة جوهرية في كيفية وطريقة معرفة روما بهذا الصراع، نقول: "بأن الذي إتخذ المبادرة في الكتابة إلى روما عن تعاليم نسطوريوس ليس القديس كيرلس بل نسطوريوس نفسه. ولكن من الغريب أن هذه المكاتيب التي تحتوي على بعض عظاته ورسائله والتي أرسلها نسطوريوس إلى روما من أوائل سنة 429، لم يستطع البابا كيليستون الاطلاع عليها أو معرفة محتوياتها إلا في صيف 430 وذلك يرجع لعدم وجود مترجم من اليونانية إلى اللاتينية (Grillmeier P.453) ويُحتمل أن أخبار تعاليم نسطوريوس وصلت إلى روما قبل أن تصل إلى الإسكندرية"¹¹. لذا سنجد أن دور كيرلس في إيصال الأخبار إلى روما كانت عن طريق شماسه بوذيدونيوس. "على أي حال أن الأمر الأكيد أن كيرلس أرسل إلى روما مع شماسه مكتوباً لا بل ملفاً ضخماً يحتوي على معلومات عن نسطوريوس وعن تعاليمه. ويذكر كيرلس بأن الوثائق المرسله للبابا مترجمة إلى اللغة اللاتينية. كما طُلب منه أيضاً بأن لا يسلمها للبابا إلا إذا تأكد بأن أخبار تعاليم نسطوريوس قد وصلت إلى مسامعه من مصدر آخر غير الإسكندرية وإلا فليرجع بهذه الوثائق دون تسليمها للبابا حتى لا يظهر ولا يُشعر السلطات الرومانية بأنه الوحيد النائر ضد زميله، أو بأنه يريد أن يجدد مأساة يوحنا فم الذهب مع خاله ثيوفيلوس، (Amann 215-16)¹². أما بالنسبة إلى الوثائق المرسله من قبل نسطوريوس إلى البابا فقد قام بترجمتها راهب من مرسليليا هو يوحنا كاسيانوس (360-435)، "ولكن الراهب كاسيانوس قدم بحثاً مطولاً هاجم فيه نسطوريوس وتعاليمه ولقد إتفق كل العلماء المحايدون تقريباً، على أن يوحنا كاسيانوس، لم يدرس هذه الوثائق بطريقة جدية وحيادية وأمينه. وإتفق العلماء أيضاً على الأمر الآتي: لو درس كاسيانوس حتى ولو بطريقة سطحية وسريعة الوثائق التي وضعتها السلطات الرومانية بين يديه لما قدم هذا التقرير الذي أظهر فيه عدم معرفته بالقضية وعدم كفاءته لدراسة هذه الوثائق وتقديم حكم حيادي نزيه...إن الاتهامات العقائدية التي وجهها كاسيانوس إلى نسطوريوس لم تكن حقيقية. ولقد سبق أن رأينا في تعاليم نسطوريوس كيف أنه نبّر بشدة على لاهوت وناسوت شخص الرب يسوع المسيح، وأنه لم يهمل قط معالجة موضوع وحدة الطبيعتين وأن هذه الوحدة لم تتم في يوم العماد، بل من البداية أي عند التجسد وفي بطن مريم العذراء"¹³.

موقف روما:

¹¹المصدر السابق، 211.

¹²المصدر السابق، 212-213.

¹³المصدر السابق، الصفحة 214-215.

أنّ ما سينتج من هذه المصادر التي حصل عليها البابا، هو إصدار قرار بعقد مجمع محلي في روما في شهر أغسطس سنة 430 لمناقشة هذه المشكلة. وإن المجمع الروماني استند في حكمه على نسطوريوس على المصادر الآتية:

1. "رسالة القديس كيرلس وترجمته لبعض العظات وتعاليم نسطوريوس.
2. تقرير الراهب يوحنا كاسيانوس عن كتابات وتعاليم وعظات نسطوريوس التي أرسلها رئيس أساقفة القسطنطينية نفسه إلى بابا روما.
3. التقرير الشفوي الذي قدمه شماس الإسكندرية عن تعاليم نسطوريوس.
4. موقف بابا روما الشخصي من رئيس أساقفة القسطنطينية.

لقد بنى مجمع روما حكمه على الوثائق التي تعرضنا لذكرها. ويعلق العالم الكاثوليكي الألماني جريلمير (Grillmeier) على هذا المجمع بالقول، لم يكن بابا روما ولا مجمعه أهلاً للحكم على نسطوريوس لأن المعلومات التي وصلت عنه كانت مشوّهة¹⁴. إذا "عُقد المجمع وحكم أن تعاليم نسطوريوس مخالفة للإيمان، وأنه يزرع الشكوك في قلوب البسطاء... وكأنه يرفض الولادة من البتول ويعلم الانفصال بين الطبيعتين. وفي 10-8-430، أرسل البابا الجواب إلى كيرلس، الخصم العنيد لنسطوريوس، وكلفه بتنفيذ "الحكم الروماني"، مع منح مهلة 10 أيام لنسطوريوس حتى يتخلى عن تعليمه ويتراجع عنه، بكتابة صيغة للإيمان تتوافق مع صيغة كنيسة روما والإسكندرية. لكن كيرلس لم يرسل قرار مجمع روما إلى نسطوريوس إلا متأخراً، في تشرين الثاني سنة 430، وأرفقه بـ (التحريمات الاثني عشر). وفيما بعد أصبحت هذه الفصول موضوعاً للجدال والخلاف بين الإسكندريين والشرقيين، لأن التعبير المستعمل فيها هو تعبير مدرسة الإسكندرية وفي شكله المتشدد، باستعمال تعابير أبوليناريوس "الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد"، "اتحاد الطبيعة الإنسانية والإلهية في المسيح"¹⁵.

مجمع أفسس 431:

أنّ الذي أمر بعقد هذا المجمع هو الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، فإن الدعوة أرسلت باسم الإمبراطورين ثيودوسيوس الثاني وفالانتينوس الثالث. "أمر الإمبراطور بأن يمنع كل قرار جديد، قبل عقد المجمع، وإقرار كل الأمور بتصويت مشترك عام. في 22-6-431، يوم الإثنين، لم يصل مندوبو البابا إلى أفسس، ولا الأساقفة الشرقيون، مع أنهم أخبروا المجمع بتأخرهم، ومع ذلك ففي هذا اليوم افتتح كيرلس

¹⁴المصدر السابق، الصفحة 217-219. A. Grillmeier 450-460.

¹⁵الأب منصور المخلصي، الكنيسة عبر التاريخ، الطبعة الأولى، شركة الطيف للطباعة والنشر، بغداد، 2010، الصفحة 185.

المجمع بحضور 153 أسقفًا، رغم احتجاج 68 أسقفًا على ذلك، ورغم تحذير ممثل¹⁶ الإمبراطور المسؤول عن النظام، الذي طلب من كيرلس أن ينتظر مجيء الشرقيين القريبين. فبدأ المجمع جلساته بطريقة غير شرعية وغير قانونية. وكان هدف كيرلس من افتتاح المجمع، الحصول على تأكيد قرارات مجمعي روما والإسكندرية. واعتبر كيرلس نفسه ممثل البابا وحاكم المجمع الرئيسي. وحسب العادة، دُعي نسطوريوس ثلاث مرات ليظهر أمام آباء المجمع، ليعرض تعاليمه. لكنه رفض الحضور، قائلاً: "سوف نتكلم بعد مجيء الأساقفة كلهم"¹⁷.

نتائج الاجتماع:

"في الاجتماع، كان خصم نسطوريوس هو الرئيس الوحيد، فحكم على نسطوريوس وعلى تعليمه الذي اعتبره هرطوقياً، وأمر بطرده من كرسيه القسطنطيني وردّه إلى الحالة العلمانية. "من كان الحاكم؟ كيرلس. من هو المُتهم؟ كيرلس. من هو أسقف روما؟ كيرلس. كان كيرلس كل شيء. نسطوريوس في كتابه هيرقليدس". ولقد تم الحكم على نسطوريوس على مرحلتين:

الأولى: التحقيق في تُهم الهرطقة، بحسب قانون الإيمان النيقاوي. فُرات رسالة كيرلس (الثانية) إلى نسطوريوس والجواب عليها. الأولى قبلها 125 أسقفًا، والثانية رفضها 34 منهم، بدون أي تفسير أو توضيح.

الثانية: تنفيذ حكم روما وكيرلس في المجمع، في حالة عدم تخلي نسطوريوس عن التعليم الهرطوقي. بحث الأساقفة في جواب نسطوريوس على الرسائل البابوية، وكان ذلك في غياب المتهم، وقد ادّعى الإتهام: "إنه أعلن أشياء كافرة، وإنه جدف على المسيح". هكذا غيّر كيرلس هدف المجمع الذي كان البحث عن التعليم الصحيح، وجعله محكمة ضد نسطوريوس¹⁸. أما بالنسبة إلى معاهدة السلام بين كيرلس الاسكندري ويوحنا الأنطاكي سنة 433، وما تبعها من مجمع خلقيدونية 451، لن نتطرق إليها بالرغم من أهميتها التاريخية في تطور مجرى الأحداث.

تبقى الحقيقة غير ما كان يُراد بها في طرح المشكلة الحقيقية (أي العقائدية)، وتبقى قضية شخصنة المعضلة من ضمن المعضلة نفسها. لكن يبقى مجمع خلقيدونية 451 المجمع الفاصل في تاريخ الكنيسة وانفصالها عن بعضها البعض. ومن النقاط الجوهرية التي استعرضناها من خلال البُعد التاريخي كون أن

¹⁶إننا لا نجد أي إشارة في الرسائل الإمبراطورية لتعيين كيرلس رئيساً لهذا المجمع.

¹⁷الأب منصور المخلصي، الكنيسة عبر التاريخ، الطبعة الأولى، شركة الطيف للطباعة والنشر، بغداد، 2010، الصفحة 185.

¹⁸المصدر السابق، الصفحة 187-188.

نسطوريوس هو من افتعل هذه المعضلة، نرغب في أن نؤكد على أن، "إكتشاف كتاب نسطوريوس الذي يدعى سوق هيراقليدس وترجمته، وبعد ترجمة بعض عظاته وتعاليمه المبعثرة هنا وهناك، وبعد أن إنكب بعض العلماء غير المُحازين على دراسة كتاباته بطريقة حيادية وجادة، أمثال أمان E. Amann، كيلي Kelly، جالتيه Galtier، تيكسروننت Tixeront، بونيفاس Bonifas، ف لوفز F.Loofs، اناستوس Anastos، كاميلوت Camelot، أعلن هؤلاء وآخرون كثيرون بأن نسطوريوس لم يعلم قط بوجود مسيحين أو ابنين في المسيح، بل أنه تمسك بما علّمت به كنيسة انطاكية لا بل الكنيسة المسيحية عامة بوجود مسيح واحد وابن واحد ورب واحد. وهذا المسيح الواحد الابن الوحيد ذو طبيعتين متميزتين اللاهوت والناسوت اللذان اتحدا معاً. ولكن كيف إتحدوا؟ وما هو نوع الاتحاد؟ هل هو اتحاد عضوي حقيقي أم اتحاد أدبي خارجي؟"¹⁹. إذاً، هناك دراسات جادة في كشف الحقيقة التي من خلالها سنستطيع أن نفهم أن العالم المسيحي ما زال يبحث عن الحقيقة، ومنها سنستخلص العبر.

كنيسة المشرق واستقلالها التاريخي:

أنّ موضوع إستقلال الرئاسة الكنسية لكنيسة المشرق ينبع من عدة مصادر تاريخية ومتنوعة ومن نظريات تتطرق في بعض الأحيان بكونها كنيسة تابعة لأنطاكية أو لكنيسة روما؟ لذا سنحاول أن نستعرض الخطوط العريضة من هذا التاريخ بصورة موضوعية وموثقة ويبقى البحث مستمر عن كشف الحقيقة التي هي من حق الجميع. لذا، "كان العالم الأوسطي في فجر المسيحية منقسماً إلى قسمين كبيرين: قسم تحكمه الإمبراطورية الرومانية، وآخر تسيطر عليه مملكة فارس، وغالباً ما شمل (تاريخ الكنيسة) المسيحية الواقعة ضمن حدود المملكة الرومانية. لذا تأتي "انعزالية" كنيسة المشرق، ومن ثم خصوصيتها، من وقوعها في الأرجاء غير الرومانية، ابتداءً بنهر الفرات ومدينتي نصيبين والرها في الشمال والشمال الغربي، وامتداداً حتى أواسط آسيا وشرقيها. وكان لكنيسة المشرق أن تمتد شرقاً وحتى جنوب آسيا وأقصاها، ولكن بأعداد كبيرة، نسبة إلى سكان تلك البلاد والمناطق، فلم تصبح في أي من المناطق والبلاد كنيسة دولة. ولم تكن كنيسة المشرق يوماً تابعة لأية بطريركية، إلا من باب الشركة والوحدة في الأساس: بالإيمان والأسرار والتقليد الرسولي الشامل. وهي، كأية كنيسة أخرى، رسولية، كما

¹⁹د. القس حنا الخضري، تاريخ الفكر المسيحي-الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، 1986، الصفحة

أنها كنيسة أم أيضاً، لأن كل جزء في كنيسة المسيح هو الكنيسة كلها، وحيث الأسقف فهناك الكنيسة، على حد تعبير القديس الشهيد أغناطيوس الإنطاكي²⁰.

الكراسي والبطيريكيات:

إنّ موضوع الكراسي البطيركية في التاريخ يأخذ جانباً من المعضلة التاريخية الكنسية، التي لم تُحسم إلى الآن. وخاصة بين الكنائس الكبرى مثل الكاثوليكية والروسية مثلاً. وسنجد بعض الدراسات التاريخية واللاهوتية تعطي الكثير من الأهمية للموضوع. لكن السؤال يبقى، لماذا إذاً أُبعدت كنيسة المشرق عن الدخول في هذا الترتيب الكنسي؟ أُنشئت كنيسة المشرق، وُجدت تاريخياً، في خارج نطاق الإمبراطورية الرومانية. وأثناء المجمع المسكوني الأول في نيقية 325، الذي انعقد في الإمبراطورية البيزنطية، قُطعت الكنيسة عملياً من المشاركة في هذا المجمع الأساسي. لهذا السبب، لم يذكر مجمع نيقية الحاسم كنسياً، بأي شكل، اسم أي كرسي في كنيسة المشرق. وهكذا نقرأ في القانونين 6-7 من مجمع نيقية فقط بشأن امتيازات الكراسي المطربوليطية الثلاثة: رومة والإسكندرية وأنطاكية، وكذلك بشأن كرسيّ أورشليم.²¹ وهناك من رأى ربما لن نتفق معه لأنه يُناقض ما قد طرح في أعلاه، "أن كنيسة المشرق كانت أقرب إلى أنطاكية منها إلى الكراسي المطربوليطية الأخرى، فصار الأمر كما لو ان الكنيسة في بلاد فارس لا تملك أي امتيازات خاصّة بها، وذلك لأنها متفرعة من كنيسة أنطاكية ومتعلقة بها"²². أما البُعد المعاصر والدراسات التاريخية الموضوعية بخصوص الكراسي البطيركية فإنها تطرح الموضوع على هذا الأساس، "ليست البطيريكيات في الكنيسة القديمة اربعاً لا غير، وجميع الكنائس الأخرى تابعة لها وجوباً كفروع. إذ للمشرق جاثليقية بطيركية، ولأرمينية كذلك. وقد جرى أكثر من تحول في كرسي القدس (أورشليم). والقول بكنيسة أم وبأن الكنائس الأخرى كفروع، هو قول لم يعد يأخذ به أحد اللاهوتيين الكنائسيين في أيامنا. الكنيسة هي كنيسة كنائس، وفي كل كنيسة نلقى كل الكنيسة، وليس جزءاً أو فرعاً. والكنيسة جمعاء، بسائر المؤمنين والانتماءات والتقسيمات التي لا بد منها مدعوة نحو شركة الجسد الواحد،

²⁰. يوسف حبي، كنيسة المشرق الكلدانية الأثرية، الطبعة الأولى، منشورات كليّة اللاهوت الحبرية جامعة الروح القدس-الكسليك، جونية، 2001، الصفحة 38-39.

²¹المطران باواي سورو، كنيسة المشرق رسولية وأرثوذكسية، الطبعة الأولى، منشورات الرابطة الكهنوتية، لبنان، 2013، الصفحة 24-25.

²²المصدر السابق، الصفحة 26.

ونحو إتمام وحدتها في المسيح. لذا، لا يعني مطلقاً نفي انتشار المسيحية في ديار المشرق عن طريق القدس وأنطاكية، كما عن طريق الرها وعبر قنوات أخرى. إنما ينبغي عدم اعتبار ذلك تبعية رئاسية²³.

المجامع خير دليل على استقلال كنيسة المشرق:

إن مجامع كنيسة المشرق تُعتبر من المصادر الغنية التي تُساعد الباحث في البحث عن الأبعاد التاريخية واللاهوتية والعقائدية، وتشخيص الإيمان القويم لكنيسة المشرق. لذا سنستشهد ببعض الأحداث والقوانين الكنسية التي تم إصدارها من الكنيسة نفسها. وإن هذه المصادر القانونية تم دراستها من قبل أشخاص لم يكونوا من أتباع كنيسة المشرق، (نقصد بالدراسات الأولية). وما زال هناك الكثير من هذه الوثائق الجمعية التي بقيت مخطوطات مُحفظة بها المتاحف والمكتبات العالمية، وما وصل إلينا ربما هو الشيء القليل جداً. لكن المصادر المتعددة كثيراً تُشير إلى أن مجمع داديشوع الجاثليق 424، هو نقطة الفصل في تحديد استقلال كنيسة المشرق، وما يهنا هو أبعد من ذلك، أي أن الأحداث التي تم ذكرها في الصراع النسطوري الكيرلسي كانت في هذه الفترة الزمنية من التاريخ. لذا، "جرت في أيامه أحداث كنسية مهمة. إذ عقد مجمعا أفسس (سنة 431) وخلقيدونية (سنة 451). وتوسطهما مجمع آخر في أفسس (سنة 449). وعلى الرغم من أن كنيسة المشرق سوف تقبل تعليم خلقيدونية بشكل غير مُباشر وترفض مقررات مجمع أفسس، إلا إنها كانت بعيدة عن تلك الأحداث كلها فلم تشارك فيها. وعلمنا أن ننتظر السنوات 484-486 لكي تزج كنيسة المشرق نفسها رسمياً في خضم الخلاف الإسكندري-الأنطاكي-القسطنطيني-المنوفيزي-اللاوطاخي-الأرثوذكسي (والكاثوليكي). وهذا دليل قاطع على أن ما جرى في مجمع داديشوع لا علاقة له بالخلافات التي نشبت في المملكة الرومانية. لذا يعكس مجمع داديشوع صورة واضحة وأصلية عن هذه الكنيسة التي كانت واقعة تحت حكم الفرس أعداء الروم²⁴. لذا سنكتشف من خلال الدراسات المعاصرة والمُحايدة وبرؤية مُعاصرة أيضاً، بأن هذا المجمع، "قد أقر باستقلالية كنيسة المشرق والسلطة المطلقة لبطيريكها الجاثليق. إن المسيح ذاته هو الذي يعين البطيريك، كما عين في يوم ما بطرس، حبراً على الأرض. وهو الوحيد الذي يستطيع أن يدينه، وليس الأساقفة التابعين له. ولم يتضمن إعلان الاستقلال هذا خلافاً، طالما أن القانون النيقاوي يتيح مؤسسة مشتركة مع البطاركة الغربيين. وعلى أية حال، فإن بطيريك كنيسة المشرق، هو على قدم المساواة مع البطاركة

²³. يوسف حبي، كنيسة المشرق الكلدانية الأثرية، الطبعة الأولى، منشورات كليّة اللاهوت الحبرية جامعة الروح القدس-الكسليك، جونييه، 2001، الصفحة 43-44.

²⁴. يوسف حبي، مجامع كنيسة المشرق، الطبعة الأولى، منشورات كليّة اللاهوت الحبرية جامعة الروح القدس-الكسليك، جونييه، 1999، الصفحة 114-115.

الغربيين، وعليه فهو مستقل استقلالاً تاماً في قراراته. وفي هذه الرؤيا، لا تتألف الكنيسة الجامعة من سلطة كنسية عالمية واحدة فقط بل من تشارك مسكوني من كنائس مستقلة²⁵. وإن من النقاط الجوهرية التي لا يتطرق إليها الكثير من الباحثين وهي، أن كنيسة المشرق لم تَعشْ لحظة تعقيد من الشركة الكنسية. "فهي ستقبل بفرح أعمال مجمع نيقية المسكوني، كما جاء بها مار ماروثا عام 409-410، كما إنها ستقبل أعمال وقوانين مجامع "غربية" عديدة في مجمع مار يهبالاها عام 420 بالرغم من إنها لم تشترك فيها"²⁶. ربما إذا بحثنا بجدية أكثر وتعمق فكري وموضوعي سنجد أن استقلال كنيسة المشرق كان منذ بداياتها التأسيسية، وإن فكرة الكنيسة الجامعة بمعناها الواسع لا الحصري هو الجامع الشمولي لكنيسة المسيح، كما أرادها ربنا ومخلصها يسوع المسيح. لذا سنستعرض هذا التحليل من خلال مصدر قانوني، هو قوانين مار إسحق 410، القانون الأول: "ثم يمضي الأسقف المرتسم، ومعه رسالة من الأساقفة الذين رسموه، لكي يكمله "يثبته" المطران الكبير، جاثليق سلوقية وطيسفون"²⁷. هذا التثبيت أو إكمال المرتسم (شوملايا) خير دليل على ما يتمتع به الجاثليق البطريرك من سلطان على كنيسته بأسرها، فهو الرأس والأب، منه كل الولادات الروحية رئاسياً، كما تم توضيحه في مجمع داديشوع. وهذا التثبيت ضروري في الأسرار الكنسية. إذا، العملية الإدارية التي يوضحها المجمع هي قديمة جداً (أي قبل 410)، لكن التأكيد عليها في هذه المرحلة لها مغزاها الخاص. ومن الدراسات المعاصرة من تعتبر أن مجمع 410 هو الإعلان الأول لاستقلال كنيسة المشرق الإداري. ومن خلال هذا المجمع "أعلنوا أن أسقف ساليق وقطيسفون هو جاثليق ورئيس أساقفة كل الشرق، وثبتوا هذا الإعلان من قبل الملك الفارسي"²⁸. لكن من غير الصحيح أن نقول إن استقلالها كان عن الكنيسة الأنطاكية، والأسباب معروفة وهي سياسية وإدارية بحته.

ما بعد استقلال كنيسة المشرق:

²⁵ كرسستوف بومر، كنيسة المشرق "التاريخ المصور للمسيحية الآشورية"، الطبعة الأولى، منشورات رابطة الكتاب والادباء الآشوريين، دهوك، 2009، الصفحة 95.

²⁶ أ. يوسف حبي، كنيسة المشرق الكلدانية الأثرية، الطبعة الأولى، منشورات كلية اللاهوت الحبرية جامعة الروح القدس-الكسليك، جونية، 2001، الصفحة 42.

²⁷ أ. يوسف حبي، مجامع كنيسة المشرق، الطبعة الأولى، منشورات كلية اللاهوت الحبرية جامعة الروح القدس-الكسليك، جونية، 1999، الصفحة 67.

²⁸ الأب ريمون الموصللي، مفهوم الكنيسة في كنيسة المشرق، نجم المشرق، 8، 4، بغداد، 1996، الصفحة 474. هذه المقالة موجز لرسالة الماجستير قدمها الأب ريمون الموصللي في موضوع مفهوم الكنيسة في لاهوت كنيسة المشرق في الجامعة الاربانية- روما 1993.

أن كل ما طرح إذا صح التعبير هو قبل الاستقلال، والآن سنوضح ما بعد الاستقلال وتأثيرات هذه الصراعات العقائدية التي لم تكن كنيسة المشرق طرفاً فيها. ولن نتطرق إلى ما يركز عليه الكثير من الباحثين عن مفهوم "نسطورية كنيسة المشرق"، قبل نسطوريوس أو بعده؟

نستطيع القول مما تم عرضه، إنَّ أول إعلان استقلال كنيسة المشرق كان في مجمع مار إسحق 410. ثم تم التأكيد وبصورة مباشرة أنَّ كنيسة المشرق هي كنيسة مستقلة بصورة بطيريكها وجاثليقها، وذلك في مجمع داديشوع 424. لكن مع مجمع مار آفاق 486، هناك بعض الحقائق التي ينبغي أن تكون قاعدة أساسية في أي عملية بحث رصينة عن الحقيقة ومنها²⁹:

1. أنَّ المذهبين النسطوري والمنوفيزي كلاهما ليس نتاج كنيسة المشرق، بل كلاهما نتاج كنيسة الغرب البيزنطية، ما عتم أن شقَّ كنيسة المشرق، فاخص الشطر الأكبر منها باللون النسطوري، بينما لونت المنوفيزية جملة مناطق شرقية وغربية.
2. لا بد من التنويه أيضاً بأنَّ المنوفيزية لم تشقَّ طريقها وتتغلغل في مواضع "مغربية" و"مشرقية" من كنيسة المشرق قبل عام 629/627م.
3. أن التأكيد على انتشار التيودورية-النسطورية في وقت مبكر، بل وبشكل رسمي، يمكننا تشخيص بداياته منذ مجمع برصوما مطران نصيبين عام 484. (لكنه مجمع غير رسمي).
4. أما البدايات الحقيقية بالنسبة للمذهبين وسريانها على أتباع كنيسة المشرق فلا ريب إنها حصلت في مدرسة الرها-نصيبين. أي بعد طرد الشرقيين من مدرسة الرها سنة 457 وغلقها سنة 489.
5. إن العلاقة بين كنيسة المشرق والكنيسة الأنطاكية ليست بديهية ولا بالصورة التي بنيت عليها تصورات الكثيرين، لأن السند التاريخي لها ضعيف، ولا صحة موثوقة لربط مصير كنيسة المشرق، من الناحية المذهبية اللاهوتية، بكنيسة أنطاكية. بل ثمة استقلالية تمتعت بها كنيسة المشرق على الصعيدين التاريخي والمذهبي، والكنسي والكنائسي بالتالي، وذلك بسبب عزلتها الاجبارية عن سائر الكنائس والمسيحية. ففي هذا المجمع تم تبني التيودورية-النسطورية مذهباً.

²⁹أ. يوسف حبي، مجامع كنيسة المشرق، الطبعة الأولى، منشورات كلية اللاهوت الحبرية جامعة الروح القدس-الكسليك، جونيه، 1999، الصفحة 141-146.

ثم قبل ثيودوروس معلماً كنسياً ومفسراً كتابياً سنة 585، وأخيراً في القرن السابع، وتحت تأثير باباي الكبير، المتوفي 628، ورداً على قرارات مجمع القسطنطينية الثاني 553، قبل رسمياً التعبير الشرقي القائل بالطبيعتين والأقنومين والفرصوا الواحد، سنة 612³⁰.

الخاتمة

إنّ ما نود أن نؤكدّه مع كاتب هذه السطور وهي حقيقة تاريخية ينبغي الاعتراف بها هي: إنّ كنيسة المشرق آذت نفسها كثيراً بالانتماءات الداخلية التي تغلغت في تراثها الأصيل. ولو عرفت الحفاظ على تقليدها المشرقي الرسولي دون التأثير بالمدّ اليوناني البيزنطي، وما أدى إليه من خلافات ونزاعات فكرية ومدرسية وكنسية، لكان رسوخ وحدتها المشرقية ضماناً أكبر للثبات والصمود والانتشار³¹. ومن المفارقة إنّنا اليوم نبحث عن الحقيقة من خلال البُعد التاريخي للأحداث الكنسية التي تم طرحها، ومواقف الآباء في اتخاذ القرارات المصيرية من خلال المجمع الكنسية، لكن من نفس البُعد التاريخي الذي به أصبحنا خارج حياة الكنيسة الجامعة بمعناها الشمولي، نرغب في العودة إلى العائلة الكبيرة (الكنيسة الجامعة). وما يثبت ذلك هو إنّ في بعض اللقاءات الغير الرسمية الحوار "برو اورينتي-الحوار السرياني"³²، تم فيها التركيز على الأبعاد التاريخية للمعضلة، وبالذات على شخصية نسطوريوس، ونسطورية كنيسة المشرق، ومن خلال جدول المحتويات لهذا المصدر، سنكتشف إنّنا ربما حققنا شيء، لكن هل تم الوصول إلى الجذور التاريخية واللاهوتية والعقائدية الخاصة بكنيسة المشرق بعيداً عن الصراعات التاريخية؟ وما هي هذه الجذور الخاصة بكنيسة المشرق وتعاليمها الأصيلة؟ أم إنّ الارث الحضاري المشترك هو العائق في الكشف عن هذه الخصوصية؟ ولماذا لا نتطرق إلى مفهوم الكنيسة الجامعة في القرون الأولى للمسيحية، وطرق تبشيرها وكيفية إيصال كلمة البشارة إلى العالم؟ وما يجمعنا هو أكثر مما يفرقنا اليوم، وخاصة بالرجوع إلى الدراسات الكتابية المتعمقة والتي لها صدق عند آباء كنيسة المشرق.

³⁰ الأب منصور المخلصي، الكنيسة عبر التاريخ، الطبعة الأولى، شركة الطيف للطباعة والنشر، بغداد، 2010، الصفحة 193.

³¹ أ. يوسف حبي، مجامع كنيسة المشرق، الطبعة الأولى، منشورات كليّة اللاهوت الحبرية جامعة الروح القدس-الكسليك، جونيه، 1999، الصفحة 142.

³² مجموعة من المؤلفين، الحوار السرياني، الطبعة الأولى، منشورات برو اورينتي، فيينا، 1994، الصفحة هـ-و.